# ٧ ـ التساؤلات القصوى

مازال بولكين هورن يواصل خطاه الجريئة، غير المعهودة من عالم رياضى نظرى متخصص على هذا القدر الرفيع، والتى توغلت كثيراً فيما وراء العلم؛ فبعد أن انتهى فى الفصل السابق إلى إثبات وجود الله، سوف ينتهى فى هذا الفصل إلى إثبات خلود النفس والحياة الأخرى!

فالتساؤلات القصوى المطروحة هنا ـ ببساطة ـ هى: هل الكون الفيزيقى الذى يبحثه العلم هو كل شىء؟ هل الحياة الدنيا تكفى لتكون قصة الوجود بأسره فلا حياة أخرى بعد الموت؟

وسوف يناقش بولكين هورن حجج الفيزيائيين الملحدين التى تناقض دعواه، مؤكداً أن فناء الكون الفيزيقى كاحتمال تطرحه الفيزياء الحديثة لن يكون هو الكلمة الأخيرة، وبالمثل موت الإنسان أيضاً لن يكون هو الكلمة الأخيرة. هناك بعث ونشور بعد الفناء والموت للكون وللإنسان على السواء، لكى يكون الكون «كوزموساً» بحق. هذا على أساس أنه كلما زادنا العلم فهماً للكون، ويصعب تصوره بلا غرض أو غاية.

إن أول تساؤل أو علامة استفهام تصادفنا إنما هى بشأن نهاية هذا العالم الذى رأيناه فى الفصل السابق محصلة لخمسة عشر بليون سنة من التطور الخصيب. ثمة إجابة علمية «رديئة» تزعم انهياراً شاملاً ونهاية كل شىء، يرفع لواءها الإلحاديون من علماء الفيزياء النظرية أمثال ستيفن فاينبرج الذى يرى صعوبة تصور روعة فى هذه الأرض التى هى جزء ضئيل من كون هائل يعادينا بشراسة، وقد تطور عن ظروف غريبة علينا لانستطيع أن نستنطقها، وقد ينتهى فى المستقبل إلى برودة قارصة أو حرارة حارقة. لذلك فالأدنى إلى الصواب أننا كلما أدركنا الكون وتفهمناه أكثر، كلما بدا لنا بلا هدف ولا غاية أكثر وأكثر.

هذه هى وجهة النظر الإلحادية التى تمثل تحدياً خطيراً، يتكفل بولكين هورن بالتصدى له، وأول مهمة تفرض نفسها هى فحص تنبؤات العلم بشأن مستقبل الكون.

## نهاية العالم:

وأول مايصادفنا هو الحياة على الأرض. إن الشمس تواصل إشعاعها لخمسة بلايين عام ومازال أمامها خمسة بلايين أخرى لتستنفد طاقتها من الأيدروجين، وتدخل مرحلة جديدة تماماً من مراحل تطور النظام الشمسى، تصبح فيه الشمس محض نجم بارد عملاق، وتنعدم فى صورته هذه أية إمكانية للحياة. ولاشك أن خمسة بلايين عام

فترة طويلة بما يكفى لحدوث تطورات حيوية أبعد، ولعل خلفاءنا أكثر عقلاً وعلماً فيتمكنون من مغادرة النظام الشمسى الذى أصبح عديم الحياة ويقيمون مستعمرات لهم فى أفلاك أخرى.

ولكن ماذا عن مستقبل الكون ذاته؟ من وجهة نظر علم الكونيات فإن التاريخ حلبة للشد والجذب بين قوتين متعارضتين هما قوتا الانفجار الطاردة وقوة الجاذبية الضامة، وهما دائماً متوازنتان، ومستوى المعرفة الراهنة لايسمح لنا بأن نتنبأ بأيتهما ستكون لها الغلبة. ومن ثم أمامنا احتمالان، فإذا سادت القوة الناشئة عن الانفجار العظيم.. القوة التفجرية التى تقذف بالكتل بعيداً، فإن المجرات المنطلقة فى الفضاء ستواصل مسارها إلى الأبد، وفى داخل كل حجرة منها سوف تحرز الجاذبية نصراً موضعياً، مما يجعل كل حجرة تتكثف فى صورة ثقب أسود عملاق، وعبر حقب زمانية هائلة سوف تذوى إلى محض إشعاع قصير المدى. وإذا كانت الغلبة لقوة الجاذبية، لن تقل المحصلة كآبةً، فهو صورة لتراكم الكتل وتداخلها فى انسحاق نارى محموم. وكلا الاحتمالين مدان بالعقم والإجداب، لتبدو الحياة القائمة على الكربون بأسرها ظاهرة انقضت، فى مرحلة عابرة من التاريخ الكونى. وبالطبع لن يحدث هذا غداً، ستنقضى عشرات البلايين من السنين قبل أن يتحقق أحد هذين الاحتمالين بالغى الوحشة والكآبة.

## مصير الحياة:

لكن ما مصير الوعى العاقل؟ فى خضم طوفان الكآبة السالف، يبرز فى الإجابة عن هذا احتمالان، كلاهما أكثر تفاؤلاً: إما الحياة ذاتها، أو الله وحده.

أصحاب البديل الأول - أى الحياة ذاتها، يزعمون أن الحياة نشأت عن كيمياء الكربون الخصيبة، وببلوغها مرحلة الوعى العاقل تطرأ تعديلات جوهرية على العملية التطورية، تحد من سطوة الانتخاب الطبيعى، فأولاً الشفقة الإنسانية تمد يد العون للضعفاء والمحبطين، وثانياً أشكال الثقافة تحمل آليات فعالة للبقاء تنتقل إلى الأجيال، أسرع كثيراً من انتقال الصفات الموروثة عبر الدنا D.N.A. هذا فضلاً عن أن الثقافة المعاصرة بما فيها من علم وتقانة (تكنولوجيا) عوامل مساعدة لتطور الحياة، تهب الوسائل الفعالة للبقاء وإحراز الغايات، ومن المحتمل جداً أن تواصل مسارها وتخلق أشكالاً صناعية جديدة من الحياة. وأولئك الذين يعولون كثيراً على الحاسب الآلى والذكاء الصناعى، يتصورون حياة واعية آتية قائمة على أساس من السيليكون تستطيع أن تقاوم كل المتغيرات وتبقى مادام الكون باقياً.

ولكن تصور الحياة الواعية على غرار نموذج الحاسب الآلى، شكل جديد للمذهب الردى، طالما يصور الكائنات الحية كآلات منضبطة والحياة مجرد تشغيل للمعلومات. هذه الدعاوى المتضخمة بشأن الذكاء الصناعى، يرفضها بولكين هورن بحسم، لأن

الوعى والتفكير أكثر كثيراً من لوغاريتمات الحاسب الآلى ـ كما أوضح الفصل الخامس. أما تصور الكائنات الحاسوبية السيليكونية بوصفها قادرة على البقاء فى كل الظروف، فهذا شيك آخر يكتب على بياض كى يُسحب من رصيد غير معلوم.

إن التفكير فى قدرة الحياة على أن تحفظ ذاتها إلى الأبد نوع من الإيمان بالغيب الفيزيقى، وهو أسطورة إنسانية عتيقة مطروحة منذ بناء برج بابل.

وكل تلك الدعاوى التى تؤيد بديل «الحياة ذاتها» تنسب القدرة الفائقة إلى المخلوقات ذاتها، بدلاً من أن تنسبها إلى خالقها.

فلماذا لانفكر فى البديل الثانى «الله وحده». ويقول بولكين هورن إن هذا البديل يلزمنا بأن نلتجأ إلى اللاهوت، وبطريقة أعمق من كل ماسمحت لنفسى به على مدار هذا الكتاب.

## القصى الحق:

بالنسبة للمؤمن بالدين الله ذاته هو القصى الحق، إنه الحد النهائى لأى نقاش بشأن مغزى الماضى والحاضر والمستقبل. وإذا كان هناك أمل قصى، عناية حميمة بالخلق لاتخل ولاتحيد أبداً، فلن يكون كل هذا إلا بالإيمان الأبدى بالخالق.

وكل هذا أشار إليه السيد المسيح فى حجته حول مصير الإنسان بعد الموت. ولم يقنع بها الصدوقيون ـ هذه الطائفة اليهودية فى زمن المسيح التى أقامت عقيدتها على التوارة، الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، ولم يعتقدوا بوجود أى أمل أبعد من صفحاتها فأنكروا الملائكة والحشر وعالم الغيب.

وقد أتى الصدوقيون إلى المسيح بسؤال محيّر عن امرأة تزوجت سبعة أخوة على التعاقب، فأيهم ستكون زوجته فى الحياة الأخرى؟

فما كان من السيد المسيح إلا أن تجاهل هذه الواقعة العرضية ونفذ تواً إلى صلب الموضوع، واستحضر حادثة من التوارة حيث تكلم الرب إلى موسى من خميلة متوهجة مذكراً إياه بأنه رب إبراهيم ورب إسحاق ورب يعقوب. واستانف السيد المسيح قائلاً: «إن الله ليس رب الموتى بل هو رب الأحياء». بعبارة أخرى، إذا كان آباء العهد القديم قد التجأوا مرة إلى الرب ـ وهم بالقطع قد فعلوا ـ فلابد من الالتجاء إليه تعالى دائماً وأبداً. ولن يتخلى الله عنا مادمنا نفعل ماعلينا. فلنؤمن بالله إيماناً أبدياً ولنثق برحمته وعنايته بإبراهيم وإسحاق ويعقوب.. وبك وبى.

ولكن فى عصر العلم هذا كيف يمكن أن نؤمن حقاً بحياة أبدية للإنسان بعد الموت؟ أولاً، هناك سؤال أسبق: ما طبيعة الرجال والنساء؟ فى الإجابة عن هذا أوضح

الفصل الخامس أننا كائنات جسدية نفسية وأن الروح هى صورة الجسد أو النموذج الحامل للمعلومات. هذا النموذج يذوى بالموت والجسد يتحلل، ولكن يبدو لى أن الأرجح هو أن الرب يتذكر هذا النموذج ويعيد خلقه من أجله البعث فى بيئة جديدة مختلفة. نحن لسنا ملائكة تحت التدريب نتوق لتحرير النفس من عبء الجسد، فماهية الإنسان فى أن يتجسد. لذلك فالوعد الدينى بحياة بعد الموت، تعنى نهاية مرحلة، وبداية جديدة لوجود جديد.

يقول بولكين هورن إن غريزته كعالم فيزيائى تدفعه إلى البحث عن فهم شامل، ليجد الحياة الدنيا وحدها لاتكفى، فيستحيل أن يكون فناء الكون هو الكلمة الأخيرة. والإيمان بالدين فقط هو الذى يطرح الحل، الإيمان بالله الرحيم الشفوق الذى يحفظ كل ماهو خير وجميل، فيضن على الإنسان بالفناء والعدم، ويعيد بعثه من جديد، وأيضاً يعيد بعث السيد المسيح.